الفصل السادس

الخطوة الخامسة

لست وحدك أبداً .....
فالانفرادية من شيم المتخاذلين

عندما توفيت شريكتي أصبحت وحيدة ولم يكن هناك من أحد لكي أدقق معه، وهذا أرهبني، فكان أن فقدت ثقتي

كارول حياة

مؤلفة كتابَي (تغيير اتجاه الحركة) و (حينما يفشل الأذكياء)

كم كان سروري وألمي عظيمين بالأولاد الأربعة الذين كنت أمهم، فحياة كل من بنتيَّ حافلة، اشتغلت أولاهما شيليShelley بشركة كبيرة في حقل غريب عنها وحتى عن دراستها الجامعية بمثل ماهو غريب علي اليوم أيضاً، وكنت أزورها مرتين في السنة حيث كان يثير اهتمامي أن أستمع لما يدور في الفضاء إذ كانت مديرة مشروع المِرقاب هبل Hubble.

أما ابنتي الأصغر شيريل Sheryl فاشتغلت معي سنوات إلى أن شقت طريقها إلى ميادين أخرى، وهي تعمل أيضاً في مجال لم تكن تظن أن يكون ميدانها أبداً هو التأمين الصحي على الأشخاص الذين

يتعرضون لمخاطر شديدة. شيريل أمّ حفيدي وحبة عيني مارك المراهق المفعم بالنشاط الذي حمل اسم خاله.

أما ولداي فقد فارقاني، أحدهما بيلي؛ رضيعاً، وثانيهما فرانك عند التاسعة عشرة، وكنت في الحالتين وحيدة منزوية، وقد تصديت لتلك الوحدة بطرق مختلفة. حين مات بيلي كنت في الخامسة والعشرين ولم أكن أعرف الكثير عن الموت، وما خبرت وفاة الأبناء حيث يُفترض ألا يموتوا قبل والديهم. تعاملت مع ألمي بالزهد فانزويت في غرفة ورحت أرسم ساعات وساعات وأستمع إلى الموسيقى، ولم أخرج من شرنقتي إلا بعد أشهر عديدة جاهزة للتلاؤم ومد يدي إلى العالم مرة ثانية.

خلال تلك الفترة زارتني صديقة عجوز تركت معي ميدالية نقشت عليها صلاة السكينة التي تقول: «يا رب أعطني الشجاعة لأواجه الأمور القادمة، وأن أغيّر ما أستطيع تغييره، والسكينة حتى أقبل بما لايمكن تغييره والحكمة بمعرفة الفرق» وجميعها مكونات أساسية للعيش. وكم كان أثر موت بيلي علي كبير حين ركض ابني فرانك على الدرج - وكان في السابعة من عمره - لكي يمسك أخاه الذي طال شوقه إليه.

بعد اثنتي عشرة سنة كان الموت على عتبة بابي مرة أخرى ينتظر فرانك في التاسعة عشرة نتيجة لحادث. وفي هذه المرة لم أستطع الاستمتاع برفاهية الانزواء في الشرنقة والرسم بغرض النسيان، لكن أنباءه جاءت من خلال المذياع والتلفاز والصحافة.

في هذه المرة مددت يدي إلى الناس الذين أعرفهم في وسائل الإعلام للمساعدة على هدم جسر قديم هجرته؛ وكان ينبغي أن يهدم

حين أقيمَ إلى جانبه مثيله. في هذه المرة شعرت بالوحدة مع وفاة فرانك ولكن ليس كحالي حين مات بيلي حيث كنت صبية غضة الإهاب ولعلّي لم أكن قد نضجت لأدرك ماحدث وأشعر بشعور من يموت له أحد وأحسّ بعمق الحزن الذي يحيط بالإنسان والعائلة، كما لم يكن لي من ألوذ به ممن سار على الدرب الذي سرت عليه وأثق به. كذلك لم يكن من صديقاتي من تعرف ماذا تفعل بي إذ لم تجرب أيٌّ منهن فقدان الابن، ولم يقترح أحد ضرورة معالجتي حتى أتجاوز هذه المرحلة أو أن أجد مجموعات لمساعدة الأمهات والآباء وأسرهم في حال موت أحبائهم.

عندما توفي فرانك تغيَّرت الأحوال إذ تقاطر الأصدقاء للمساعدة، ومن المؤكد أننا تقدمنا في مسيرة العمر وخبرنا المزيد من شؤون الحياة، كما أني شعرت بالتزامي بالآخرين من أصدقاء فرانك العشرة الذين كانوا معه - حينما سقط - كيْ أعينهم في حزنهم وأعين نفسي أيضاً. كذلك لقيت مجموعات دعم كنت أستطيع اللجوء إليهم حتى أستطيع امتصاص الصدمة وأستجمع قوتي لمتابعة المسيرة. ومع كل ذلك قضيت سنة كاملة أستشعر أن لي قوة حقيقية لايتم الإحساس بها في لحظة واحدة.

مرّت فترات لفَّتني الوحدة بردائها، لكني علمت وتعلمت من خلال السمع والبصر أن هناك مئات الأمهات في مجتمعي ممن مات أبناؤهن، وبذلك لم أكن الوحيدة.

لايهم ما أنت فيه والذي استلَب ثقتك، فأنت لست وحدك. والأمر سيان سواء تعلق بوظيفة أو مشكلة شخصية أو ظهور شيء مفاجئ أو

طلاق أو وفاة أو أي من طوارق الحياة التي تحط رحالها على أبوابنا، فنحن لسنا وحيدين، وهناك الآلاف ممن تجرَّعوا ذات الكأس التي شربناها، أو سيتجرَّعوها رغم مرارة الألم وعمقه فلستَ الوحيد المتفرِّد في تلك المرارة والعمق، ذلك أن جوّال الليل الوحيد لم يعد له وجود.

الانطلاقة

جين هولاندز Jean Hollands - المعروفة باسم العصا السحرية التي تستطيع الوصول إلى جوهر المشكلة خلال دقائق والعمل على إيجاد قرار بشأنها وحلٍّ لها مع عملائها- هي رئيسة مركز النمو والقيادة في قلب وادي سيليكون ومديرته التنفيذية التي اشتغلت من جميع الشركات الكبيرة فيه ابتداء من فرع المديرين وانتهاء بتقديم الدعم للعمال، والتي ورد ذكرها على المستوى العالمي في الصحف المهنية وكُتِبَت عنها الكتب التي حققت أكبر المبيعات.

توفي عنها زوجها في تسعينيات القرن العشرين فتدنَّت ثقتها بنفسها إلى الحضيض، وفي ذلك الحين أجرى العاملون معها تقويماً لها واكتشفوا أن جميع الدرجات التي حققتها منخفضة إلى حد بئيس، وهي تصف وضعها فتقول:

تصوروا أنني أعمل في مجال تدريب المدراء منذ خمس وعشرين سنة، فكيف بي حين أخفِق في صُلب عملي؟ وأنا المعروفة بلقب المديرة الدقيقة جداً وبأنني أتفجر عندما أحب شيئاً ما.

تحطَّم قلبي بسبب وضعي الذي أحسَّ به العاملون معي، ولظهور أموري في الصحف وأنا المحبوبة من قبل عملاء شركتي! ولكن هؤلاء

العاملين رأوا أن باستطاعتهم السيطرة علي لبعض الوقت، فأحسست بأني جريحة يائسة.

الأمر الوحيد الذي استطعت أن أفعله هو وصف الدواء لنفسي، فطلبت مساعدة العاملين معي. خضعت بالطبع لجلسة استشارية بشأن موت زوجي ووصلت إلى قناعة بأن هذه الخسارة منعتني من القبول بأية خسارة حتى وإن كانت أصغر منها، ولذلك أردت في اللاشعور أن أكون المسؤولة عن كل قرار وألا أترك الأمور تمر بسهولة.

نقل إلي العاملون المعلومات المرتدة أولاً بأول، وراقبت نفسي حينما كنت على وشك أن ألقي واحدة من خطبي اللاذعة، وهنا جاء الانضباط فقد تعلمت أن أبعد عاطفتي إلى نواح إيجابية وألا أركز على الأمور التي لم تجر على مايرام أو التي لم ينفذها العاملون وفق طلباتي ورغباتي.

نصيحة هولاندز هي أن تذكِّر نفسك -حين تتفجر ثقتك - بأن ذلك بلاء عارض وليس دائماً، وهي ترى أن عليك باللجوء إلى أصدقائك وزملائك المؤيدين لك، وتضيف:

إن من ذكائك أن تلجأ إلى أصدقائك وزملائك المؤيدين لك وتطلب إليهم أن يحدِّثوك عن نفسك بحديث حسن، ثم اطلب المعلومات المرتدة بشأن المعضلة التي أنت فيها، وعليك أن تبذل محاولة تأملية لتضبط نفسك على التغيير بدلاً من تقديم الأعذار بشأن الطريقة التي تصرِّف بها الأمور، فأنت مازلت في داخلك صاحب النفس

الرائعة القديمة ذاتها ولست إلا في معرض إضافة دور جديد إلى أدوارك الأو لى، وأن ذلك مكافأة ، ليس إلا!

تعتقد جين هو لاندز بصورة راسخة أن كل شيء يبدأ بالثقة؛ القيادة والروح الجماعية وحتى العلاقات مع الآخرين، وأن سعادتك تبدأ وتنتهي مع حبك لنفسك وفهمك لها وقبولك بها.

ضياع جزء من النفس

سار كل شيء على أعظم مايرام مع المؤلفة والباحثة في أحوال السوق كارول حياة Carole Hyatt التي امتلكت وشريكتها شركة متنامية في مدينة نيويورك بلغ تعداد موظفوها أربعون. ظنت حياة أنها كانت على الدوام معتمدة على نفسها، ومن المؤكد أن كتبها *لعبة النساء* في البيع The Womens Selling Game وحينما *يفشل الأذكياء When Smart Fails* وتغيير *اتجاه الحركة Shifting Gears* التي حققت أكبر المبيعات قد أتت بخير على اعتمادها على نفسها. بدا أن كل شيء كامل/تام/ إلى أن ماتت شريكتها فجأة، حيث كانت الشركة تسير حتى ذلك الحين بشكل جيد، وبعدها زاد الطلب على كارول باعتبارها متحدثة ومؤلفة لكتب تحقق أكبر المبيعات.

كنا زوج، زوج في العمل، ولكل منا نواح للقوة خاصة بها، نتخذ قراراتنا كزوج، ونؤدي العمل كزوج، وكان هناك على الدوام شخص تأوي إليه لتعزيز ثقتك بنفسك من خلاله.

كنت أقول دائماً إن واحداً وواحداً يساوي عشرة وفي الواقع أحد عشر، وليس اثنان بل على وجه التحديد أحد عشر لأن وراءك تلك

الثقة التي يمنحها لك شخص آخر، وهو شخص ظل معك شريكاً لك يفهم نواحي الضعف عندك. لم أفهم ذلك إلى أن توفيت شريكتي فكان ذلك تقييماً متأخراً.

ولطالما شعرت أن الشراكات أفضل من الإنفراد، لكنها كالزيجات لها منغصاتها أيضاً، فلا تستطيع الانفراد بالأشياء، ولا باتخاذ القرارات من جانب واحد، ولا أن تأمر ذاك العامل بفعل كذا أو كذا إن كان لديك عمالاً مشتركين. وعليك أن تخطط لذلك بالمشاركة، وهناك دائماً تأييد ومعارضة.

خلال الشراكة التي استمرت ثمانية عشرة عاماً كنت أريد ولا تريد - أن أعمل كذا وكذا، وكنا نتفاوض كما في الزواج، فأنزعج في بعض الأحيان من ذلك، فأثور وأفعل ذلك، لكنها كانت أكثر عقلانية. وعندما توفيت اتضح لي أنه لم يعد لي من أحد أدقق معه وهذا أثار مخاوفي، وقد أرهبني أنني فقدت ثقتي.

ما كنت أظن أن باستطاعتي الاستمرار في إدارة شركة تعمل في أحوال السوق والبحث في السلوك الاجتماعي، وسيطر عليَّ الرهَب حتى من تنظيم جدول الرواتب أسبوعاً بعد أسبوع، ولم أظن أن باستطاعتي التعامل مع كل الزبائن فليس هناك من أحد لامتصاص الصدمات، وليس هناك أيضاً مَن يفهم العمل كما كانت تفهمه.

كذلك كان لدي مستخدمين على جانب كبير من الفهم، ولم يكونوا في يوم من الأيام محجوبين عن كل أسرار الشركة التي ضمت العديد من الأقسام. فقدت الشعور بنفسي وثقتي وقدرتي على اتخاذ القرارات،

ثم قررت أن أبيع الشركة على عجَل، فبحثت ووجدت شارياً وبعتها خلال ثلاثة أشهر.

ثم لازمت البيت ولم أفعل شيئاً يذكر مدة سنة، سوى بعضاً من الأمور القديمة دون أن أزيد، أو أن أفعل أي جديد. فقدت قدرتي على الإبداع وإحساسي بالاستكشاف، وبالمغامرة، وظننت أنني لن أعمل أي جديد أبداً. ولقد كُتِب عليَّ أن أكرر الأشياء القديمة، فأحسست بأني لست أنا.

استخدمتني مجموعات لتقديم أوراق عمل حول لعبة النساء في البيع، وكانت موضع إثارة كبيرة، فكنت أخرج من ثياب النوم وأدخل ثياباً تبدو جيدة لمصممة أفكار مثلي ثم أضع زينتي وأصعد إلى الطائرة، وعندما أصل كان هؤلاء الناس المتحمسين المتقافزين هنا وهناك ينقلونني، ثم أعتلي المنصة وأردد بصورة تلقائية ، كذا وكذا وكذا.

بعد ذلك صرت أتساءل عن سبب ذلك لأنني لم أشعر به، وتمادى بي الظن أن ذلك لابد وأن يكون سخيفاً جداً بالنسبة للحاضرين، وأحسست أني ممثلة مقنعة الوجه تختفي وراء ملابس وزينة خدّاعتين. يُدار مفتاح التشغيل فأبتسم وأقول الأشياء الصحيحة، وأظن أنها مقبولة، وأردد بشكل جيد جداً، فقد كتبت البحث مرات عديدة حتى أصبحت أكرِّره تلقائياً، ثم أعود إلى الطائرة، إلى البيت فأخلع الزينة والثياب، وأدلف إلى ثوب النوم ثم إلى سريري. واستمرت حالتي هذه سنة كاملة.

لم أكن أدري بما يجري لي، بل تملكني إحساس بفقدان القيمة الذاتية والثقة والإبداع الذاتي. بعد حين زارتني صديقة كانت قد سُرِّحت من عملها قبل وقت قصير جداً، وألقت عليَّ حديثاً بدا مألوفاً

جداً، فقلت: «نعم أعرف. لقد مررنا في الحقيقة بنفس التجربة، ولكننا وصلنا إلى النتيجة بطريقتين مختلفتين». فكلانا شعرنا بالحاجة إلى الثقة بالنفس واحترام الذات و- في وضعها - إلى المال. كل شيء بدا عادياً، ثم قالت: «كيف حدث ذلك؟ أنتِ بعتِ شركتك وأنا سرِّحت من عملي».

وحينما فكرت في الأمر وجدت أن ما جرى هو ذات الشيء، فكلانا في ثياب الحداد التي أضاعت ثقتنا. وأخيراً أخبرت صديقتي أن هذه كانت سلسلة أحداث، وأظن أن علينا السير بها إلى نهايتها، ولعل مانحتاجه هو التحدث عنها، وتقاسُمها، وهذا هو الأمر الذي يطلب أن تفعله الجماعات. في الديانة اليهو دية هناك فترة سنة يذهب فيها المرء إلى المعبد صباح كل يوم، ولا يأتي فيها على ذكر الموت بل متابعة الحياة.

كانت صديقتها المطرودة من عملها ليندا غوتليب Linda Gott-lieb، وقد تولدت عن تلك الزيارة فكرة كتاب (*عندما يفشل الأذكياء*)، الذي ابتدأ بقصصهما الخاصة (وقصص المئات غيرهما) وكشفتا فيه عن العمق الذي تحدِثه الأزمات والفشل، وكيف أن أولئك المئات من الرجال والنساء الشجعان تغلبوا عليها واكتشفوا أنفسهم من جديد. تحدثت حياة إلى غوتيب، فكان ذلك بمثابة المحرك الذي دفعها إلى الأمام، وأدركت أن ماوقع لها وقع لصديقتها أيضاً. وبالنتيجة فإن حياة تقدمت عنها في إدراكها وفي نموها، وحياة تعتقد أن هناك محركات في الحياة تدفع إلى المرحلة القادمة. لقد كان الغداء الذي تناولته مع غوتيب حافزاً فتح أمامها الباب لكي تتحرك إلى الأمام.

نجوم النجوم البطيئين

يتقاسم نجما النجوم عجزاً مشتركاً، أحدهما المحامي الأعلى أجراً في أمريكا والثاني المدير التنفيذي لواحدة من أنقى وأكمل شركات شبكة المعطيات العالمية.

يتقاضى ديفيد بويس David Boies مبلغاً يتراوح بين الصفر والسبعمائة وخمسين دولار في الساعة في وقت هذه الكتابة، فعندما يعمل لحساب الحكومة الأمريكية في قضية تتعلق بشركة مايكروسوفت يتقاضى أربعين دولاراً في الساعة لقاء تعرية شاهد إثر شاهد، وفي تمثيله آل غور في خيبة إعادة فرز الأصوات في فلوريدا ، وحينما ربح القضايا التي اشتملت على تثبيت حصص الأسعار الموزعة زاد نصيب شركته الصافي عن ستين مليون دولار، وهذا ليس سيئاً بالنسبة لشخص لم يتمكن من القراءة حتى وصل إلى الصف الثالث.

يعتبر جون تشامبرز John Chambers مدير شركة سيسكو التنفيذي بين أعلى مراتب المدراء التنفيذيين في العالم بمن فيهم جاك ويلش مدير جنرال إلكتريك التنفيذي الذي دعا تشامبرز ليتحدث أمام أحد اجتماعات إدارة شركته. في إحدى فعاليات شركة سيسكو التي تقدَّم تحت عنوان «انطلق ببناتنا إلى العمل» تبيَّن لمستخدميها المذهو - لين أن مديرهم مصاب بعجز، وعندما حاولت فتاة صغيرة أن تتحدث إلى بعضهم خلال الفعاليات، فقالت وهي تبكي: إنها عانت من عجز في التعلم. لاحظ تشامبرز مدى تضايقها فقفز لمواساتها وأخبرها ومعها مئات المستخدمين الموجودين أنه هو أيضاً عانى من التعلم، وأنه عندما كان يتقدم في السن كان الأو لاد من حوله يسخرون منه.

رجلان من نجوم النجوم في مهنتيهما، تعرض كل منهما للسخرية والعزلة في صباه، وجدا طرقاً للإنتصار على عجزيهما، فتعلم تشامبرز العمل الجاد من أجل التخلص من عجزه وفعل بويس فِعلته أيضاً فاستخدم ذاكرة لاتصدَّق فعاليتها مكَّنته من تسريع كل مايدخل إليها لدرجة أصبح فلتة في الذكاء حتى في لعب الورق.

التعرض للإيذاء النفسي

احتمل المديران التنفيذيان لشركة هيليستاد للمستحضرات الطبية - دون ولوسي هيليستاد Don & Lucy Hillestad - الكثير من الصدمات القاسية في مجال الدفاع عن التغذية، فأسرتهما هي «مدرسة الصدمات القاسية» التي تراوحت بين السخرية منهما لأنهما دجّالين في أول عملهما في الميدان الغذائي وصولاً إلى عملية قدْح انتشرت في البلدة الصغيرة.

لم تؤد عملية القدْح هذه إلى آية نتيجة لأن جميع التهم قد أسقِطت، وتبين أن الأشخاص الذين وقفوا وراء العملية هم من ذوي الأخلاق غير الحميدة والذين كانوا يضلّلون السلطات، وقبل تلك البراءة كانت مئات الآلاف من الدولارات قد صُرفت في الدفاع عنهما، وكان اسماهما قد تلطخا في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية شهوراً عديدة كما قالت لوسي هيليستاد:

> وحتى في يومنا هذا وبعد أن انتهى كل شيء، أستطيع أن أجول ببصري فأرى أشخاصاً تعرضوا لأضعاف أضعاف السوء الذي

تعرضنا له، وإني لأشعر أننا استطعنا أن نتجاوز مآسي الحياة والكثير من الأمور التي تقع في حياتنا.

الأمر السيء هو أن اتهامنا لم يلحق بنا الضرر من الناحية السياسية فحسب بل من الناحية المهنية والمالية أيضا، إذ صدق كثير من الناس ماسمعوه وقرأوه في وسائل الإعلام، وما زال الناس يشككون كثيراً في التعامل معنا منذ ذلك اليوم رغم إسقاط التهم عنا واعتراف الدولة أن الشاهد الرئيسي قد أدلى بأربعين شهادة زور.

غير أن أحد الأمور السيئة التي حدثت هو عدم مصداقية الناس الذين كنا نعتبرهم أصدقاء، وقد أحسسنا بالعزلة مرات عديدة، ثم تسابق أصدقاؤنا الحقيقيون وأصدقاؤنا الجدد إلى نجدتنا ودعمِنا والوقوف إلى جانبنا.

القدوم من الاتجاه المعاكس

كانت ليسلي تشارلز Leslie Charles - من بين جميع الناس الذين قابلتهم - هي الوحيدة التي شاركتُها تجربتها الحياتية، ولم تكن معروفة على الدوام بهذا الاسم إذ ابتدأت حياتها باسم كوني ألان Connie Allan ثم أصبحت كوني ألان كوربيلا Connie Allan Kurpila. ترعرعت في ميتشيجان في الجانب الغربي من لانسينغ Lansing في لوس أنجلوس بكاليفورنيا - التي تدرَّجتُ فيها- وتزوجتْ مثلي في السادسة عشرة، ورُزقت بثلاثة أطفال قبل أن تبلغ العشرين مثلي، وكان راتبها الشهري ٣٥٠ دولار عام ١٩٦٩ مثلي ، ومات عنها ابن

شاب مثلي. وعلى ذلك فقد أمضينا ساعات في مطار فونيكس -Phoe nix بأريزونا وأنا أشعر بأني أستمع لصدى نفسي.

بعد طلاقها اشتغلت أمينة سر، وما أحبت هذه الوظيفة بل كرهت العمل ولم تكن في حقيقة الأمر ترغب بأن تعمل، وكانت تنتظر شاباً طيباً يأتي ليضم أو لادها إليه ويتزوج منها، فهذا هو ما تتوقعه امرأة وُلِدت في الجانب الغربي من لانسينغ.

بعد انقضاء سنتين ونصف أفاقت من وهم الطريق التي كانت تمشيه، ثم أضاء المصباح وأدركت خلوَّها من الأهداف وأنها لم تفعل شيئا لنفسها، وأنها لاتعرف ما تريد، بل تعرف ما لاتريد ولم ترغب بالاستمرار فيما هي فيه.

ولذلك تركت عملها واستحصلت على إعانة البطالة، وأدركت أنها معدَمة، ذلك أن فقدان شيء من المال لايؤثر كثيراً على وضعها، وأنها بذلك تستطيع تمضية المزيد من الوقت مع أطفالها وفي محاولة استبيان حالتها وتحديد وجهتها التالية، وهي تقول عن ذلك:

في تلك الفترة عملتُ على التعرّض للشمس لاكتساب اللون البرونزي (إذ كان التعرض للأذيات النفسية في تلك الأيام أسهل من اكتساب اللون البرونزي الجيد!)، واللعب مع أطفالي. وقد قالت لي إحدى صديقاتي- وَكنتُ قد أخبرتها برغبتي في الحصول على الشهادة الثانوية وأني أشعر بالدونية الحقيقية دون استكمال ذلك التعليم لأني خشيت كثيراً أن ألتقي في نهاية المطاف بشخص ألفِت نظره ثم

يهملني حين يعرف أني لا أحمل أية درجة جامعية : «عيب عليك ألا تتخرطين في الخدمة العامة، ولو فعلتِ ذلك فلديهم برنامجٌ تدخلين بموجبه إلى المدرسة».

وعلى ذلك فقد باشرتُ بالدراسة قليلاً وحصلت على الثانوية العامة مع بلوغي التاسعة والعشرين، ونجحتُ في جميع المقررات عدا الرياضيات. حملتُ شهادتي إلى هيئة الخدمة العامة وقلت: «أريد المساعدة وأريد أن أحسِّن من حياتي»، وخرجت منها وفي جعبتي قسائم للطعام باعتباري أحدث أم على لائحة الإعانة في لانسينغ. وفي فصل الخريف التالي التحقت بكلية المجتمع المحلية، واستحصلت على درجة الشرف عام ١٩٧٠!

كانت هذه بدايتي الجديدة إذ بدأت الأبواب تنفتح لي. أحببتُ المدرسة وأفلحت فيها حتى أنني أمضيت فصلين دراسيين في أدب الموسيقى ودرستُ الموسيقى الكلاسيكية كمادة أساسية.

تخرجتُ من كلية المجتمع في لانسينغ بشهادة مساعد بإدارة الأعمال، وهي بمنظور تلك الأيام عمل (سكرتاري) مجيد، كذلك أنهيت برنامجاً لتكنولوجياً المكتبات، وكان حب الكتاب جزء من تفكيري حينذاك إذ كنت أحب القراءة، وأوصلني ذلك قبيل تخرجي إلى وظيفة مشرفة على مكتبة كلية المجتمع في لانسينغ.

أقمت حفلة حين خرجت عن نطاق الإعانة لكي أحتفل بعودتي إلى مجتمعي، فوُجهَت الدعوة التي كتِب عليها: «أولاد كوني ل. كوريبا يدعونكم للاحتفال بعودتها إلى المجتمع».

خمس سنوات مضت على طلاقي، ولم يظهر ذلك الشخص الذي كنت أنتظره ليجد الأولاد ويجدني. ورأيت في نهاية المطاف ضرورة أن أعمل فترة طويلة وأفكر بمهنة حقيقية لأكسب المزيد من المال حتى أكبر كإنسان في نفس الوقت.

اقترحت علي صديقة كانت تعمل في شركة زيروكس Xerox أن أجري مقابلة لوظيفة مندوبة مبيعات، ودخلت مقابلتي الأو لى، وطرحوا علي عدة أسئلة: لماذا اخترتُ شركة زيروكس؟ لماذا تقدمتُ؟ لماذا اخترتُ المبيعات؟ ولم أستطع في الواقع أن أجيب عليها. فكرتُ بها وشحذت همتي وعدت بعد شهرين، فاستخدمتني زيروكس! إنها وظيفة حقيقية تمثل قفزة نوعية فأنا كوريبلا، ممثلة المبيعات. لبست لبوس العمل رغم أن أهالي الجانب الغربي من لانسينغ لايرتدونه.

كنت في تلك الفترة أدخن وأعاقر الخمرة ... وكنت ضمن مجموعة لاهية، وبذلك استطعت أن أتحدث إلى الرجال وأن أمضي وقتاً رائعاً، وإذا عزمت على الرقص معهم أنفذت ما عزمت عليه. ثم قابلت رجلاً يصغرني ببضع سنين ويختلف عن معظم الرجال الآخرين، وهانحن قد أمضينا خمسة وعشرين عاماً مع بعضنا.

أمضيتُ في شركة زيروكس سنتين ولم أعمل شيئاً ذا شأن، فتركت الوظيفة وفكرت في العودة إلى البطالة والالتحاق بالدراسة مرة أخرى بهدف إنجاز الدرجة الجامعية الأولى. كانت أسرتي تؤيدني على الدوام بشكل كامل، والجيران ينتقدونني، لكني لم أواجه انتقاداً من أسرتي أبداً.

ذات يوم سألني منسق البرنامج في مركز التطوير الإداري بكلية المجتمع في لانسينغ عن أو ضاعي، فأخبرته أني أمضيت حوالي ثلاث سنوات على نظام الإعانة وانفصلت عنه حينما التحقت بالعمل، ثم سألني عما أعمل في ذلك الحين فقلت له: «من السخرية أني قد تركت العمل قبل فترة وجيزة»، ثم عرض علي وظيفة لقاء عشر دولارات في الساعة.

وكان أن بدأت القراءة في ذلك الحين، فكنت أعمل وأمرح، وأكسب المال لقاء ذلك. نبَذتُ الخمرة والتدخين وكنت أكسب ماينوف عن عشرين ألف دولار في السنة، وهذا مبلغ كبير علي. توسَّع المركز وأصبحتُ واحدة من كبار المدرِّبين فيه في ظل توسع خبرتي، وتزايد معها التوتر عندي.

عودة إلى وظيفة المشرفة حيث قلت إن الظروف لم تكن جيدة، فإذا لم تتحسن تركت العمل. كنت أعرف أني قد أو اجه المشاكل حين كانت هذه الكلمات تتعثر في الخروج من فمي. ورغم أني كنت مدربة رئيسية أساسية لزبون رئيسي من ولاية ميشيجان، إلا أني لم أكن قد حصلت على إجازتي الجامعية فلم أكن مؤهلة للتعاقد مع ذلك الزبون.

تلقيت مخابرتين بطلبي شخصياً لتنفيذ برنامج لزبائن غير ذلك الزبون، فطلبت إليهم أن يعاودوا الاتصال بي بعد أسبوعين إذا كانوا مهتمين بالعمل معي، وأعطيتهم رقم الهاتف في المنزل وأخبرتهم أني قد تركت العمل قبل فترة وجيزة. وكانت هاتان المخابرتان من المعهد

الأمريكي للأعمال المصرفية وهيئة الخدمة العامة، وهي هيئة حكومية. كان ذلك في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٩، وكنت أملك ٣٠٠٠ دولار في المصرف و١٦٠٠ أخرى أرباحاً عن عام ١٩٨٠، فاشتريت بمدخراتي آلة كاتبة آي بي إم IBM وجهاز إجابة على الهاتف وانطلقت بعملي، وكانت تلك المخابرتين البذور الأولى لعملي.

تقول تشارلز إنها في منطلقات أيامها الأولى لم تكن تتمتع بتقدير ذاتي كبير مثل طفلة لم تر إمكانية حصول أي شيء إيجابي، فبدأت تفكر باتخاذ اسم آخر لايدخل فيه اسمها بعد الزواج - كوريبلا - أو اسمها قبله - ألان.

> ذات يوم نحتت صديقة لي اسم ليسلي ميريدث تشارلز Les-lie Meredith Charles، فأحبَّه شريك حياتي روب Rob وبدأ يناديني به. وبدأت على سبيل المزاح أستخدم اسم تشارلز لحجز العشاء أو البيتزا في كل مرة أردت إعطاء اسم غير اسمي الحقيقي كوريبلا، حتى أني اتخذت اسم ليسلي تشارلز اسماً تجارياً لشركتي.
>
> حينما كانت تواجهني ظروف لاأعرف إن كنت أستطيع التصدي لها أم لا، كنت أسائل نفسي عما تفعله ليسلي حيالها؟ وفي نهاية المطاف أصبحتْ ليسلي تشارلز بديلتي، ومن ثم غيرت اسمي بصورة قانونية إلى ليسلي تشارلز عام ١٩٨٢.

كانت ليسلي تشارلز قادرة على النظر إلى الوراء إلى صِبى كوني آلان وانتزاع نفسها والانتقال بها إلى بيئة جديدة ومجتمع جديد

أنشأتهما هي وأولادها. ليسلي تشارلز لم تنعم بتربية إيجابية بل - من الناحية الحَرْفية - وَلَّدت ذاتها من جديد وبدأت من جديد فربَّت نفسها. وماهي آخر ولاداتها؟ كتاب *لماذا يتململ كل شخص إلى هذا الحد؟ Why is Everyone so Cranky؟*

الخاطرة التاسعة

أنت لست الوحيد في وضع ما - بصرف النظر عن هذا الوضع - ومن المحتمل أن يكون الآلاف وحتى الملايين قد ساروا قبلك

على نفس الدرب الذي تسير عليه

لست وحدك

النقطة الأهم هي أن تتذكر على الدوام أنك لست وحدك وأن كلاً منا هو جزء هام من عجلة الحياة. إليك فيما يلي مقالة صغيرة تم نشرها في أماكن عديدة دون معرفة مؤلفها الأصلي، كما تم مؤخراً إعادة توزيعها عبر البريد الإلكتروني، وهي تحت عنوان: *هل تدعو الحاجة في الحقيقة إلي؟*. الحقيقة أن الحاجة تدعو إليك فلكل منا مسؤوليته، فاحرص على المقالة واقرأها مراراً لكي تذكر نفسك بها.

رغم أن آلتي الكاتبة قديمة الطراز ولكنها تعمل باستثناء أحد المفاتيح، وكثيراً ما تمنيت أن تعمل بصورة كاملة. صحيح أن هناك اثنين وأربعين مفتاحاً تعمل، لكن من غير المهم أن يوجد مفتاح واحد لايعمل.

يبدو لي في بعض الأحيان أنّ مجتمعنا - مثل آلتي الكاتبة - لايعمل فيه كل شخص بالشكل المناسب. ربما تقول: «حسن، إنني مجرد شخص واحد ولن يكون لي تأثير كبير». لكنك ترى أنَّ المجتمع بحاجة إلى مشاركة كل شخص حتى يتغير، وعليك - حين تظنُّ أن الحاجة لاتدعو لجهدك - أن تتذكر آلتي الكاتبة وأنْ تحدِّث نفسك: «إنني شخص رئيسي وإنهم بحاجتي إلى حد كبير».

يمكن للأشياء الصغيرة أن تكون صفقات كبيرة وأن تكون العنصر الناقص، والذي لايكاد يلحظه أحد إن تم عزله؛ لكنه عندما يدخل في خضم البنية ويتلقى الدعم يشكل حلقة مهمة.